سلسلة أخي المُجاهد

من مقالات صحيفة النبأ

مؤسسة البيداء للإعلام
ربيع الأول 1448هـ

سلسلة أخي المُجاهد

من مقالات صحيفة النبأ

مؤسسة البيداء للإعلام

ربيع الأول 1448هـ

الفهرس

مقدمة	5
أخي المجاهد .. فِرَّ إلى الله	7
أخي المجاهد .. أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء	10
أخي المجاهد .. كيفية النصر	12
أخي المجاهد .. فلينظر أحدكم من يخالل	14
أخي المجاهد .. فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك	16
أخي المجاهد .. وبشِّر الصابرين	18
أخي المجاهد .. إن الله لا يضيع أجر المحسنين	20
أخي المجاهد .. فاز من باع نفسه لخالقها	22
أخي المجاهد .. احفظ أموال المسلمين	24
أخي المجاهد .. حسن الخلق	26
أخي المجاهد .. استبشر بطريق الجهاد	29
أخي المجاهد ... إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ	32
أخي المجاهد .. العفو يقربك إلى الله	35

الفهرس

أخي المجاهد .. لا تَعجلنَّ لأمر أنت طالبه	37
أخي المجاهد .. سادات الناس في الدنيا الأسخياء	39
أخي المجاهد .. لم يكن الرفق في شيء إلا زانه	42
أخي المجاهد .. الحلم حلة أهل الإيمان والعقل	44
أخي المجاهد .. وهم في غفلة معرضون	46
أخي المجاهد .. إن الله يأمر بالعدل والإحسان	48
أخي المجاهد .. راجع نفسك وحاسبها	50
أخي المجاهد .. كن من المُؤْثِرين	52
أخي المجاهد .. من تواضع لله رفعه	55
أخي المجاهد .. والكاظمين الغيظ	58
أخي المجاهد .. إيَّاكم والظن فإنه أكذب الحديث	61
أخي المجاهد .. من تواضع لله رفعَه	64
أخي المجاهد .. مركب الرجال لبلوغ المقاصد	66
أخي المجاهد .. وشاورهم في الأمر	69

الفهرس

أخي المجاهد .. كن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول 72

أخي المجاهد .. التزمه إن أحببت أن يكون الله معك 74

أخي المجاهد .. تبسُّمك في وجه أخيك لك صدقة 77

أخي المجاهد .. تذكر إخوانك في دعائك 79

خاتمة 82

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن من أعظم ما يحتاجه المجاهد في طريقه إلى الله تعالى، تذكيره بما يجب عليه من أخلاق عالية وآداب كريمة، وصبر وثبات، وإخلاص ويقين، وتوكل على الله واعتماد عليه، فإن الجهاد عبادة عظيمة لا تكتمل إلا بصلاح القلب وحسن الخلق.

وقد منّ الله تعالى على إخوانكم في مؤسسة البيداء للإعلام بجمع هذه السلسلة المباركة بعنوان أخي المجاهد التي كانت تنشر متفرقة في صحيفة النبأ الغراء، تلك الصحيفة المباركة التي عُرفت بصدق كلمتها وقوة طرحها وحسن توجيهها، وما يقوم عليها من كُتّاب أفاضل ومحررين ناصحين بذلوا جهدهم في نصح المجاهدين وتوجيههم وتثبيتهم على طريق الحق، فجزاهم الله خير الجزاء.

وقد قامت مؤسسة البيداء للإعلام بتجميع هذه السلسلة وترتيبها وتنسيقها في هذا الكتاب لتكون عوناً للمجاهد في تهذيب نفسه وتزكيتها، وتذكيراً له بما ينبغي أن يتحلى به من الصفات الحميدة التي تعينه على الثبات في مواطن الابتلاء، وتقربه إلى ربه جل وعلا، سائلين الله أن يحفظ صحيفة النبأ والقائمين عليها وأن يبارك في جهودهم.

نسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الكلمات، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن يرزقنا الثبات والإخلاص وحسن الخاتمة، إنه سميع مجيب.

أخي المجاهد .. فِرَّ إلى الله

إذا نزل بك الكرب واشتد حولك الخطب وأحاطت بك المُلمات وجهدت في البحث عن طريق للنجاة، فاعلم -أخي- أن الطريق هو الفرار إلى الله ربِّ الأرض والسماوات،خالق الليل والنهار، من هو كل يوم في شأن. نعم فِرَّ إلى الله، فهو من قدَّر الأقدار، وهو من يجيب المضطر إذا دعاه، ومن أقوى منه تلجأ إليه؟! أو أشد بأسا تحتمي بحماه؟! فِرَّ إلى الله بالتضرع إليه والانكسار بين يديه، فِرَّ إليه بالصلاة والذكر، وقد كان رسول الله ﷺ يقول عند الكرب: (لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم)، وأمرك ربك بالاستعانة بالصلاة فقال: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}. فِرَّ إليه بالتوبة والاستغفار مما بدر منك في حقه: {وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}. فِرَّ إليه باتباع أمره، والانتهاء عن نهيه، بالثبات والصبر على دينك وجهادك، والأخذ بالأسباب، واليقين بصدق وعده، قال تعالى: {فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ}.

قال ابن قيم الجوزية: "فإذا فرَّ العبد إلى الله فإنما يفر من شيء، إلى شيء وُجد بمشيئة الله وقدره، فهو في الحقيقة فارٌّ من الله إليه، ومن تصور هذا حق تصوُّره فهم معنى قوله ﷺ: (وأعوذ بك منك)، وقوله: (لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك)، فإنه ليس في الوجود شئ يُفرُّ منه ويستعاذ منه ويلجأ منه إلا هو مِن الله خلقاً وإبداعا، فالفارُّ والمستعيذ: فارٌّ مما أوجبه قدر الله ومشيئته وخلقه، إلى ما تقتضيه رحمتُه وبِره ولطفه وإحسانه". وإياك إياك أن تتبع الشيطان في طريق فيه هلاكك وسوء عاقبتك، فلقد أمرك ربك أن تجاهد عدوه وأمرك بالصبر على ذلك، وحذرك من الفرار، وبين لك الطريق وأعلمك بالعاقبة ودلَّك على درب النجاة. قال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ }، فأخبرهم بقدره عليهم وهو البلاء، ودلَّهم على طريق النجاة وهو الصبر. ولك أسوة حسنة بالأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين، فلقد علموا طريق نجاتهم وسلكوه، فكانت لهم العاقبة وأهلك الله عدوهم ونصرهم عليهم. فهذا نبي الله موسى لما أدركه فرعون وجنوده من خلفه، والبحر من أمامه، وقال أصحابه إنا لمدركون، أبى ذلك ودلهم على طريق نجاته الذي لايخيب، {فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ}.

وهذا رسول الله محمد ﷺ يخِرُّ راكعا لله يوم بدر، وقد حشَّد المشركون حشدهم، وجاؤوا ببهرجهم، يحاربون الله ورسوله، فسلك رسول الله طريقه، وتضرع إلى خالقه وألح عليه في الدعاء حتى أمده الله بجنده ونصره. فدونك هذا الطريق فالزمه، وإياك أن تحيد عنه، واعلم أن الله نعم المولى ونعم النصير. (1)

من العدد (108) - ربيع الأول 1439 هـ (1)

أخي المجاهد .. أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء

عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاث، يقول: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله، فإن قوما أرداهم سوء ظنهم بالله فقال لهم: {وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ}). وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (يقول الله: أنا عند ظن عبدي بي..) أخي المجاهد، انزع من قلبك الهم والحزن واستعن بمولاك وأحسن الظن به، فهو لا يَرُدُّ من استجار به، ولا يُبعد من تقرب إليه، فكم أزال عنك شدة، وكم دفع عنك مكروها. هو الذي خلقك ورزقك وربَّاك وعدلك، رزقك وأنت في رحم أمك، وأجرى لك اللبن سائغا دافئا فور خروجك، وما زال يطعمك ويسقيك ويكسوك ويشفيك ويحميك. ربَّاك وعلَّمك وحفظ عليك سمعك وبصرك، ومنَّ عليك بكل ما تمتعت به من نعم وأولها أن أوجدك، ثم هداك، ثم اصطفاك، هداك للإسلام، واصطفاك لقتال أعدائه، فكم أنت محظوظ أن جعلك أحد جنوده، ولست أحد جنود الطواغيت، فأنت -أخي- على خير عظيم ما التزمت تقاه ولزمت طريقه. تذكر دائما -أخي- أن الله رحمن رحيم، وأنك تردد هاتين الصفتين في اليوم والليلة بضع عشرة مرة في صلاتك المفروضة وتكررهما في البسملة، فحاشا للرحمن الذي هو أرحم بك من أمك أن يتخلى عنك فأحسن الظن به تفلح. رُوي أن حماد بن سلمة عاد سفيان الثوري، فقال له: يا أبا سلمة أترى الله يغفر لمثلي؟

فقال حماد: والله لو خُيِّرت بين محاسبة الله إياي وبين محاسبة أبوَي، لاخترت محاسبة الله على محاسبة أبوَي، وذلك أن الله أرحم بي من أبوَي. فلتكن -أخي- عالي الهمة شديد التعلُّق بالله والتوكل عليه، فإن حسن الظن بالله باب من أبواب التوكل عليه والاعتماد عليه، فلن تستطيع التوكل على الله ما لم تُحسن الظن به. عن عبد الله بن مسعود قال: لله أرحم بعبده يوم يأتيه أو يوم يلقاه من أم واحد فرشت له بأرض فيء ثم قامت فلمست فراشه بيدها، فإن كان به شوكة كانت بها قبله، وإن كانت لدغة كانت بها قبله. (1)

من العدد (109) - ربيع الأول 1439 هـ (1)

أخي المجاهد .. كيفية النصر

إن حكمة الله البالغة وتقديره للمؤمنين في الدنيا فيه من الخفايا ما لا يعلمه إلا هو جل في علاه، ومن ذلك كيفية حصول النصر لعبادة المؤمنين، فقد نصر الله الأنبياء والرسل والمؤمنين من بعدهم بأشكال وصور متعددة متباينة فلم يقتصر انتصارهم على المعارك المباشرة، وفي ذلك حكم من الله كثيرة. ومن ذلك أن المؤمن لا يصيبه اليأس مهما سدّت فيه وجهه الأبواب، بل يعلم أن نصر الله سبحانه قد يحصل بما لا يخطر على بال، فيعلق أمله به وحده، وهكذا فقط يأتيه النصر. وللمؤمن في رسول الله ﷺ وأصحابه أسوة حسنة فلم يلتفتوا كثيرا إلى كيفية حصول النصر، بل عملوا ما أمرهم الله به من تطبيق أمره وقتال الكافرين، قال تعالى: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا}. كما أنهم لم يتأخروا للاستزادة من عدد أو انتظار تحصيل عدة، بل بذلوا ما كان عندهم من أسباب، فنصرهم الله بها بصور كثيرة، فنصرهم بالرعب، ونصرهم بالريح، وبتفريق كلمة الكافرين، كما نصرهم بالملائكة. فلا يشغلنَّ المؤمن نفسه كثيرا بالتفاصيل، بل يعمل على ما أمره الله به بأفضل ما يستطيع فإن شاء الله عذب الكافرين على يديه وإن شاء بغير ذلك.

ولابد له من الدعاء والتضرع لله سبحانه مع العمل والجهاد في سبيله، ولا يركنَّ إذا لاحت له أسباب يظن أن بها هلاك للكافرين كاختلاف بينهم أو ضرر يصيبهم بأموالهم أو أنفسهم من عند الله، فيعلق أمله كله عليها فإن نجوا منها انهار عزمه وخبت همته، بل يواصل القتال والنزال ويعمل كل ما يستطيع من أسباب، فإن لاح له نصر زاد من تضرعه لله أن يتمه فإن لم تكن بها فلا ضير. فالله أعلم كيف ينصر دينه وهو العالم سبحانه بمآلات الأمور وخواتمها، فرُب نصر عاجل يبقي في صف المسلمين من ليس منهم من المنافقين وغيرهم فلا يتمحص الصف ويبقى فيه من الكدر ما يكون فيه شتاته وهلاكه عياذا بالله، ورب صفة للنصر يرجوها المؤمنون والله قد أخفى لهم في حجب الغيب ما لو علموه لهانت عليهم أمانيهم، فنسأل الله أن يمكن لعباده المؤمنين وينصرهم على الكافرين بما شاء وكيف شاء إنه القاهر فوق عبادة وهم الحكيم الخبير. (1)

---

(1) من العدد (110) - ربيع الأول 1439 هـ

أخي المجاهد .. فلينظر أحدكم من يخالل

إن من أسباب التوفيق والفلاح في الدنيا والآخرة حسن اختيار الصُحبة، فالصحبة الصالحة تعين صاحبها على الخير وتدفعه إليه، كما أن الصحبة الفاسدة تُهلك المرء وتدفعه إلى المعاصي، عياذا بالله، قال رسول الله ﷺ: (الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)، وفي حديث آخر عنه ﷺ: (لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي). وعلى هذا سار سلفنا الصالح فقد كان أحدهم يختار جلساءه اختيارا، فلا يصاحب إلا من يعينه على الخير والصلاح، ويحذر أشد الحذر من الفساق وأهل الدنيا، ويحذّر منهم. والمجاهد في سبيل الله أكثر من يعنيه هذا الأمر، فصحبته ورفاقه لهم أكبر الأثر في صلاحه وثباته بإذن الله، فإن كان أصحابه من أهل التقوى والصلاح وأهل الرباط والقتال وأهل التثبيت والتفاؤل الحسن، فثباته أرجى بإذن الله، فإن سمع بصوله كان من أول الملبين وإن احتاجه اخوانه بعمل لم يقصر ولم يتخاذل، وإن اشتدت عليه الخطوب صبر وثبت بتوفيق الله له ثم بثبات إخوانه معه، أما إن كان اصحابه من أهل الدنيا اللاهثين خلفها الكارهين للموت في سبيل الله، فمجالسهم تخذيل وإرجاف وذكر للشرور والآفات التي تقعد الإنسان وتذهب همته وتنقض عزيمته، فإن استنفر لم ينفر وصار الجبن والخوف وحب الدنيا شعاره ودثاره.

إن تأثير الأخلاء على بعضهم قد لا يكون ملحوظا إلا على المدى الطويل، فقد يحدث المرء نفسه بأن بقاءه مع بعض صحبه الذين لا يعينون على الخير لا مضرة فيه، ولا يدري أن أساسه يُهدم يوما بعد يوم دون شعور منه، فإذا حضرت الملمّات لم يجد ما يرتكز عليه، وكم من رجل انتكس على عقبيه، وقد كان من الخيار الصالحين، فتفتش عن أمره وسبب نكوصه تجد له صحبة لا تعين على الخير ولا تثبت عليه، بل تخذّله عنه، وتدلّه على الشر، وتحثه عليه. وعلى المرء ان يحذر من نفسه أيضا فقد يكون هو صاحب التأثير السيء على صَحبه ورفاقه، فيذهب عزيمتهم ويخذِّلهم وهو لا يشعر، يجلس مع أخيه فيذكر له من الأمور والقصص والحوادث ما يخذّله، وقد يكون صاحبه في وقت قد ضعف فيه إيمانه، فينتكس، وينهزم عند اللقاء، أو يخرج من جماعة المسلمين، فيكون بذلك رجل سوء يفرق ولا يجمع، يخذِّل ولا يحرض، علم بذلك أم لم يعلم، فليس كل ما يعلم يقال، فإن كان صاحب همة عالية لا تؤثر فيه كثير من الأمور، فليس كل الناس على هذا الحال، فرب كلمة ينتكس بها رجل، يحمل وزره من قالها، والعياذ بالله. (1)

من العدد (111) - ربيع الثاني 1439 هـ (1)

أخي المجاهد .. فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك

على طريق الجهاد، تزداد الشبهات شدة، وتتعاظم العوائق حدة، فلا يثبت في موج الفتن إلا من ثبته الله، ولا ينجو من عواصف المحن إلا من نجاه الله، وإن الرجل ليمضي في درب الجهاد السنين الطوال، فيلاقي فيه بلاء كالجبال، وبعد عظيم صبر وكثير ثبات، يفتن عن دينه فيرتد، فلا يكون له من جهاده إلا الجَهد، ولا من ابتلائه إلا الكدّ، فيضيع ما قدَّم لنفسه سنين وشهوراً، (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً) الفرقان:23. قال رسول الله ﷺ: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها نُكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نُكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مُرباداً كالكوز مُجَخِّياً، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه) رواه مسلم. فلما كانت الوقاية من العلاج أنجع، والإعراض عن الشبهات للقلب أنفع، وجب على المجاهد الانشغال عنها بما فيه صلاحه، والنأي عنها إلى ما فيه فلاحه، فلا يصاحب إلا من كان تقياً، ولا يجالس إلا من كان إيمانه قوياً، فيُحصل بذلك الفوائد، ويتجنب ما أعده الشيطان له من شراك ومصائد.

وإن المجاهد إذا انفضت من حوله الناس، ما ضره ذلك والله معه، وإذا خذله من كان له سنداً، ما فتَّ ذلك في عضده والله وليُّه، فإن الله ناصره ما نصره، ويدافع عنه ما آمن به، وهو يمده بجند من عنده ما ائتمر بأمره وانتهى بنهيه، وهنا يكمن سر النصر، وسبب الفتح والظفر، ألا وهو التسليم المطلق لله، فما تذلل قوم لله إلا ازدادوا بذلك رفعة، وما ابتعدوا عن ملذات الدنيا إلا ازدادوا إليه قرباً، وما ازدادوا لعدوه بغضاً إلا ازدادوا له حباً، (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) المائدة:54. فيا من حبست نفسك للجهاد في سبيل الله، وسخرت ما أنعم عليك به في نصرة دين الله، وضحيت على درب الفداء ترجو جنة الله وتخشى عذابه، امضِ في هذا الطريق غير آبه بانتكاس المخذلين، ولا بإرجاف المرجفين، وتيقن بنصر الله لك، (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) غافر:51. فإما فتح يقر الله به أعين المؤمنين، ويشفي به صدور الموحدين، وإما جنة الخلد التي أعد الله للمتقين، فامضِ في طريق الجهاد، فإنما هي قتلة وميتة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها، والنعيم الذي لا انقطاع له. (1)

من العدد (112) - ربيع الثاني 1439 هـ (1)

أخي المجاهد .. وبشِّر الصابرين

(عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كلَّه خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراءُ شكرَ فكان خيرا له، وإن أصابته ضراءُ صبر فكان خيرا له). إن الله يبتلي العبد ليحط عنه من ذنوبه، ويكفر عنه من سيئاته، وإن الرجل ليبتلى بقدر إيمانه ومنزلته عند الله ومكانه، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، فمن كان إيمانه قويا اشتد بلاؤه وعظم، ومن كان إيمانه رقيقا خفف الله عنه البلاء ورَحِم، وإن للمحن أشكالا، وللبلاء ألوانا، فقد يبتلى الرجل في النفس أو المال، أو الأهل أو العيال، {وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}. ولما كان الصحابة أصلب الناس بعد الأنبياء إيمانا، وأصدقهم إسرارا وإعلانا، كان البلاء ولا بدَّ مصيبهم، فوقع بهم ونالوا منه نصيبهم، إذ كان لهم من العذاب أنكاه، ومن التنكيل أعظمه وأقواه، فعن خباب بن الأرت أنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسدٌ بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ قال: كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض، فيُجعل فيه، فيُجاء بالمنشار، فيُوضع على رأسه، فيُشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويُمْشَط بأمشاط الحديد، ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله لَيُتِمَّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون.

ويمر الصحابة -رضوان الله عليهم- بأم عمار زوج ياسر، يسومها المشركون من العذاب ألوانا، فلا يرفعون الظلم عنها لاستضعافهم ولا يكفون عدوانا، ويمر النبي -صلوات ربي وسلامه عليه- بعمار وأمه وأبيه وقد أُلبسوا في رمضاء مكة دروع الحديد، فيقول: (صبرا آل ياسر، إن موعدكم الجنة) ولا يزيد، وصَبَرَ الصحابة على أذى المشركين حتى ماتوا على دينهم كراما، فكانوا شامة على جبين الصبر وعلى صدر العز وساما. فيا من عظم عليه البلاء، واشتدت به المحنة واللأواء، وأوصدت دونه الأبواب، وتقطعت به الأسباب، ودخل اليأس إلى قلبه فارتاب، قارن حالك بحالهم، وليكن مآلك كمآلهم، فإن صبرت جزاك الله عظيم الأجر والثواب، وإن نكصت فما لك إلا الخزي والعذاب. أتنظر إلى هالة الكفار فتهولك؟ {أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}، أتذوق من بأسهم فتبتئس؟ {فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ}، أم طالك جَهدهم فأجْهَدَك؟ {وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}. فحافظ يا طالب الخير على الثبات تسلم، وتسلَّح بالصبر تُفلح وتغنم، {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ}. (1)

---

(1) من العدد (113) - ربيع الثاني 1439 هـ

أخي المجاهد .. إن الله لا يضيع أجر المحسنين

إن مما يحتاج إليه المجاهد في جهاده ورباطه أن يكون متفائلاً بتحقق موعود الله له بالأجر العظيم، قال تعالى: (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين * ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) التوبة:120-121. وصف الله المجاهدين بالمحسنين ووعدهم بأن لا يضيع أجرهم، بل لهم جزاء أحسن من أعمالهم، وقيل يجزيهم على قليل أعمالهم بما يجزيهم على كبيرها، وهنا ذكر أجورهم مفصلة، فهم مأجورون على العطش وعلى التعب وعلى الجوع، وكل مكان يطؤونه مما يَغيظ الكفار يكتب لهم به عمل صالح، وكل نيل ينالونه من الكفار، وكذلك كل نفقة ينفقونها صغرت أم كبرت تكتب لهم أعمالاً صالحة، وحتى قطعهم لوادٍ في مسيرهم يؤجرون عليه مقبلين وراجعين، فاحتسب أخي المجاهد عند الله صبرك على المصاعب والمشاق، واحتسب كل عمل صالح تعمله في طريق الجهاد. وليتفاءل المجاهد بوعد الله للمؤمنين بالنصر، قال تعالى: (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) غافر:51. وليعلم أن الله طلب منه الجهاد ولم يطلب منه تحقيق النصر، قال تعالى: (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) آل عمران:126.

فحتى الصولة أو الغزوة التي يفشل فيها المجاهد، فهو مأجور عليها بأعظم مما لو أنه انتصر وغنم فيها، قال نبينا ﷺ: (ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة، ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم) رواه مسلم. وكل مصيبة تحصل له خاصة أو للمجاهدين عامة يبحث المجاهد عن الخير فيها وعن العِبر منها ويحاول الاستفادة منها، مع تحسين العمل وتحاشي الأخطاء، قال -تعالى- عما حصل في حادثة الإفك: (لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم) النور:12، مع أن الحادثة آلمت النبي ﷺ وزوجته المباركة عائشة والصحابة. وقد توعد الله المنافقين والمرجفين والمخذّلين بأن يسلط عليهم نبيه ﷺ فيتخلص من شرورهم بأن يقتلهم حيثما يجدهم، وذلك لما يسببونه للمجاهدين من تخويف وتوهين لعزائمهم أو إضعاف التفاؤل عندهم، قال تعالى: (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً * ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً * سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً) الأحزاب:60-62. (1)

من العدد (114) - ربيع الثاني 1439 هـ (1)

أخي المجاهد .. فاز من باع نفسه لخالقها

إذا حلت المنايا وجاءت الآجال، فالتهرب منها شيء محال، لأن القدر المكتوب لا بد واقع، ماله من صاد ولا دافع، ثم ينتقل المرء من دار الزوال والفناء، إلى دار الخلود والبقاء، فإما نعيم مقيم، وإما عذاب مُخزٍ أليم. وإن الموحد إذا علم أن الحياة مرتحلة عنه قسرا، وأن الموت نازل بساحه وإن عاش دهرا، اجتهد في طلب رضى الرحمن، وطمع في عطاء الكريم المنان، فلم يترك باب خير إلا طرقه، ولا طريق برٍّ إلا سلكه، ينتقي من الأعمال أصلحها، ومن التجارة أربحها، وليس عمل أصلح عند الله من الجهاد، وليست تجارة أربح من القتل في سبيله والاستشهاد، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}.

وقد علم الله أن النفس عن الجهاد لاهية، وعنه عازفة لأعذار تافهة واهية، إذ فيه ذهاب النفس والمال، وفراق الأهل والأصحاب والعيال، لذلك أجزل لمن أقامه العطاء والثواب، ووعده الفردوس الأعلى مع الصديقين والصالحين والأنبياء والأصحاب، {لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}، فأنعم بطريقهم طريقا، وحسُن أولئك صحبة ورفيقا. وكما أن الله أعد للمجاهدين نعيما وفيرا، وخَيرا جزيلا كثيرا، خلق لمن تخلف عنهم سعيرا، وبشَّرهم عذابا أليما وحسابا عسيرا، فإذا هم أعرضوا عن الجهاد استبدل بهم أهل خير، وتركهم أهل العصيان جميعا ولا ضير، فأمر الله ماض أبدا، وهو الناصر عونا ومددا، {إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ}. فإذا تيقن المرء أنه إلى الله راجع، وأن ليس له من قضائه من دافع، فضَّل الهداية على الغواية، والثواب على العقاب، والموت في سبيل الله عن الموت في سبيل سواه، فإن للموت في الحالتين سكرات، وهو في كِلتيهما مُرُّ الجرعات، فشمِّر يا باغي الخير عن ساعد الجد تأمن، واسع للعلياء يرفعك الله من حال إلى أحسن. (1)

---

(1) من العدد (115) - جمادى الأولى 1439 هـ

أخي المجاهد .. احفظ أموال المسلمين

لقد منَّ الله -تعالى- علينا بنعم عظيمة أعظمها الإسلام، ثم منَّ علينا بأن أقام لنا دولة الخلافة وأنعم علينا فيها بالغنائم والفيء، قال تعالى: {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، وقال عن الفيء: {وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}، والنعم كلها ابتداؤها ودوامها من الله، قال تعالى: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ}، وقد وعد الله -تعالى- الشاكرين بأن يزيدهم من نعمه، وتوعد من يكفر النعم بأليم عذابه: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}، والصبر عند البلاء والشكر عند النعماء من صفات المؤمنين، قال ﷺ: (عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)، ومِن شُكر النعم أن نتذكر أنها من الله، ولا ننسبها لأنفسنا أو لاستحقاقنا.

ومِن شُكر الله على النعم أن نحافظ عليها وألا نسرف فيها، فالله -تعالى- لا يحب المسرفين، وقد أثنى الله -تعالى- على عباده الذين نسبهم إلى اسمه الرحمن (عباد الرحمن) فذكر من صفاتهم أنهم {إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا}، وهذا يشمل مالهم الخاص والمال العام الذي يؤتمنون عليه، بل الحفاظ على المال العام واستعماله في محله أولى وأحرى من المال الخاص، والذنب في التفريط فيه أكبر، لأنه مال المسلمين، وبه قوامهم وكمال مصالحهم، كما أنه يستعمل في الجهاد ومقارعة أعداء الله، وتعويض ما يتلف منه ليس متيسراً في جميع الأوقات، فأقل ما يجب على المسلم أن يُعامل المال العام كما يعامل ماله الخاص، إن لم يكن أكثر حرصاً. وتذكَّر أخي أن الذنوب الخاصة بينك وبين الله قد يغفرها الله لك، وأما حقوق العباد فهي مبنية على المشاحة، ولا بد أن يأخذوا حقوقهم ممن يهضمها ويفرِّط فيها، ومما يبين لك خطورة التهاون في حقوق العباد، أن الشهيد مع ما له من المنزلة والكرامة عند الله إلا أنه يَغفر له كل الذنوب إلا الدَّين، قال رسول الله، ﷺ: (يُغفر للشهيد كلُّ ذنب إلا الدَّين). نسأل الله أن يفتح لنا ويرزقنا شكر نعمه واستعمالها فيما يرضيه، والحمد لله رب العالمين. (1)

من العدد (116) - جمادى الأولى 1439 هـ (1)

أخي المجاهد .. حسن الخلق

إن المنزلة العظيمة التي خصَّ الله -تعالى- بها صاحب الخلق الحسن، والمكافأة الكبيرة التي أعدها الله له لَتجعلُنا متحفزين متنبهين لمعرفتها وسبل بلوغها، والسعي لتحقيق ذلك. فعن أبي هريرة قال: سُئل رسول الله، ﷺ: ما أكثر ما يُدخل الجنة؟ قال: (تقوى الله، وحسن الخلق)، قال: وما أكثر ما يُدخل النار؟ قال: (الأجوفان: الفم والفرج). وعنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصلاة والصوم). وعن عائشة أن النبي ﷺ قال: (إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وألطفهم بأهله). وعن جابر: أن رسول الله ﷺ قال: (إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا). قال عبد الله بن المبارك واصفا حسن الخلق: هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكفُّ الأذى. وقال آخر: هو التحرز من الشح والبخل والغضب، والتشديد في المعاملات، والتحبب إلى الناس بالقول والفعل، والسماحة وترك التقاطع والهجران والتساهل في العقود. والصبر والحلم والأناة والتواضع مقدمات لا غنى عنها للخلق الحسن، فإن لم يكن للمرء صبر على الأذى، وحلم على الإساءة، وتفكر في الأمور ونظر في عواقبها، وأناة في القيام بها فليس باستطاعته أن يكون من أصحاب الخلق الحسن.

وقال الطبري في تفسير قوله تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}: "أي افعل هذا الذي أمرتك به يا محمد من دفع سيئة المسيء إليك بإحسانك الذي أمرتك به إليه، فيصير المسيء إليك الذي بينك وبينه عداوة، كأنه من ملاطفته إياك وبرّه لك، وليٌّ لك من بني أعمامك، وقوله تعالى: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}. أي لا يُعطَى دفع السيئة بالحسنة إلا الذين صبروا لله على المكاره، والأمور الشاقة، وذو حظ عظيم أي ذو جِدٍّ". وفي تفسير قوله: {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نزغٌ فَاسْتَعِذْ بالله}: "يقول -تعالى- وإما يُلقِيَنَّ الشيطان يا محمد في نفسك وَسوَسة من حديث النفس إرادة حملك على مجازاة المسيء بالإساءة، ودعائك إلى إساءته، فاستجر بالله واعتصم من خطواته، إن الله هو السميع لاستعاذتك منه واستجارتك به من نزغاته". تذكر أخي أن الأخلاق الحسنة أمر يمكن اكتسابه بالتدرب، وهو يحتاج إلى النباهة وتجنب الغفلة، وإلى ضبط النفس، وكظم الغضب والابتعاد عنه ما أمكن، وإن أفضل ما يساعدك على ذلك الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند الغضب، أو تلقي الإساءة. أخي المجاهد، إن أفضل وأتم تَمَثُّلٍ بالخلق الحسن هو التمثل بأخلاق رسول الله، ﷺ، وليكن هدفك الأول من التمثل بأخلاقه ﷺ مرضاة الله تعالى، وتذكر أن الله يرضى لك ذلك ويحبه، فأره منك ما يحب، وليكن الطمع فيما عند الله دافعا لك.

اعلم أخي المجاهد أن هذه المرتبة العظيمة التي خصَّ الله بها صاحب الخلق الحسن تستحق منك البذل والجهد والعناء في سبيل تحقيقها، فاستعن بالله وراقب أقوالك وأفعالك واحرص أن تكون على هدي رسول الله ﷺ كي تكون من أقرب الناس منه مجلسا يوم القيامة. (1)

من العدد (117) - جمادى الأولى 1439 هـ (1)

أخي المجاهد .. استبشر بطريق الجهاد

استبشر بطريق الجهاد: الحمد لله الذي أنزل الكتاب هدىً ورحمةً للمؤمنين، والصلاة والسلام على نبيه نبي الرحمة ونبي الملحمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

فإن الله -تعالى- قد بشَّر عباده المؤمنين بشارات كثيرة تُقوِّي عندهم جانب الرجاء وترفع معنوياتهم، خاصة إذا واجهوا أعداءهم، فحين أمرهم -سبحانه- بالثبات في قتال عدوهم بشَّرهم بأنه مع الصابرين، {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}، وهي معية خاصة لأوليائه، تختلف عن المعية العامة لعموم خلقه بالعلم والإحاطة والقدرة عليهم، كما في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}، وأمر -تعالى- عباده بأن يستبشروا ببيعهم أنفسهم وأموالهم لله، مقابل أن يدخلهم جنة الخلد، {إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}، وحتى حين يبتليهم الله بأن ينال منهم الكفار بعض النيل بالقتل أو بالجراح أو الأسر، أمر -تعالى- المجاهدين بأن يستشعروا العلو على الكافرين ولا يضعفوا عن قتالهم ولا يحزنوا لما أصابهم، {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}، والمؤمن مبشر بالخير في السراء والضراء، إذا كان شاكراً لأنعم الله صابراً عند الابتلاء، قال ﷺ: (عَجَباً لأمر المؤمن!

إنّ أمره كلّه له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضرّاء صبر، فكان خيرا له)، وكل ما يصيب المسلم من بلاء صغُر أو كبُر فهو سبب لتكفير سيئاته، قال ﷺ: (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كَفَّر الله بها من خطاياه). وكل ما يعمله المؤمن من جهاد بالنفس والمال، وكل موطئ يطأه يغيظ الكفار وكل نيل يناله منهم، وكل أذى يصيبه، فهو مثاب على هذه الأعمال أعظم الثواب، فاحتسب الأجر أخي المجاهد في العسر واليسر، وأحسن ظنك بالله -تعالى- ولي المؤمنين، الذي أمرهم بجهاد أعدائه فاستجابوا، وأمرهم بتحكيم شريعته وعدم اتباع أهواء الناس فامتثلوا طالبين رضاه، خائفين من عذابه إن لم ينفروا لقتال أعدائه أو لم يحكِّموا شرعه، أبشر أخي المجاهد بكفاية الله للمتوكلين عليه المفوضين أمرهم إليه، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. (1)

من العدد (118) - جمادى الأولى 1439 هـ (1)

أخي المجاهد ... إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ

الحمد لله رب العالمين، وعده حقٌّ وأخباره صدقٌ وأحكامه عدلٌ، والصلاة والسلام على أعلم الخلق بالله وأخشاهم وأتقاهم له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد... فقد أثنى الله -تعالى- على عباده المؤمنين الذين يصدِّقون كلامه ويوقنون بتحقق موعوده، لا يزولون عن هذا اليقين في السراء ولا في الضراء، بل لا تزيدهم المحن إلا إيماناً بالله وآياته ووعوده، وتسليماً لأمره وحكمته، ورضاً بقضائه وقدره. كثيراً ما ترجو نفوسنا أن يأتي الفرج والنصر من الله بطريقة معينة وبأحداث محددة، ولكن {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}، فلله -تعالى- حِكم عظيمة قد يخفى علينا كثير منها.

لقد رجا المؤمنون من المهاجرين والأنصار أن يلقوا قافلة كفار قريش فيأخذوها سهلة بغير قتال، ويكون فيما يغتنمونه منها قوة لهم وبلاغ إلى حين، ولكن الله -تعالى- شاء وهو العليم الحكيم أن تنجو القافلة وتخرج قريش عازمة على قتال المسلمين بجيش يزيد على ثلاثة أضعاف عدد المجاهدين، طامعة في القضاء على الموحدين الذين بدأوا يُسقطون هيبة قريش ويجترئون عليها وعلى تجارتها، فكانت غزوة بدر الكبرى، التي قال الله عنها: {وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ}، وقبل الغزوة قلَّل الله -تعالى- عدد الكفار في أعين المؤمنين ليتشجعوا على قتال الكفار ولا ترهبهم أعدادهم، وقلل عدد المؤمنين في أعين الكفار ليغريهم بقتال المؤمنين، قال تعالى: {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ}، فلما التحم الفريقان رأى الكفارُ المسلمين وكأنهم ضعف عدد الكفار، فتزلزل جيشهم وسقطت معنوياته، ووهنت قوته، ويئس من النصر، وأيَّد الله المؤمنين بنصره، قال تعالى: {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ}. وفي غزوة الأحزاب ابتلى الله -تعالى- المؤمنين ابتلاء شديداً لا يتوقعونه، فازدادوا إيماناً بتحقق وعد الله ورسوله ﷺ بنصر المؤمنين واندحار الكافرين.

قال ابن إسحاق: "حدثني يزيد بن رومان في قول الله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا}، والجنود: قريش وغطفان وبنو قريظة، وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح: الملائكة، وعن مجاهد: {إِذْ جاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ} قال: عيينة بن بدر في أهل نجد، {وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ}، قال أبو سفيان: وواجهتهم قريظة، وعن قتادة: {وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ} شخصت، وعن عكرمة: {وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ}، قال: من الفزع، وعن الحسن: {وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا}، قال: ظنوناً مختلفة: ظنَّ المنافقون أن محمداً وأصحابه يُسْتَأْصَلُون، وأيقن المؤمنون أن ما وعدهم الله حق، وأن الله سيُظهر دين الإسلام على الأديان كلها ولو كره المشركون" انتهى كلامه بتصرف يسير. لقد جاء نصر الله -تعالى- بكيفية عجيبة ظهرت فيها قدرة الله وقوته وعزته وحكمته ولطفه بالمؤمنين، قال تعالى: {وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا}، وأيَّد الله -تعالى- المؤمنين بالنصر على يهود بني قريظة والإثخان فيهم، ومنَّ على المؤمنين بالغنائم الكبيرة التي أورثهم إياها من بني قريظة، قال تعالى: {وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً}. وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين. (1)

من العدد (119) - جمادى الأولى 1439 هـ (1)

أخي المجاهد .. العفو يقربك إلى الله

أخي المجاهد اعلم أن من أسمى الأخلاق التي حث الإسلام على الاتصاف والتحلي بها هي خلق العفو عمن أساء وظلم، وهو الخلق الذي يُقرب العبد من ربه، ويجعله ممن يأمل عفوه يوم لا ينفع مال ولا بنون. قال تعالى: {إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا}. قال ابن كثير في تفسير الآية: "إن تُظهروا أيها الناس خيرا، أو تُخفوه، أو تعفوا عمن أساء إليكم، فإن ذلك مما يقربكم من الله ويُجزل ثوابكم لديه، فإن من صفاته -تعالى- أن يعفو عن عباده مع قدرته على عقابهم". وقال تعالى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}. وقال لنبيه: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}. قال ابن جرير الطبري في تفسيره: "خذ العفو من أخلاق الناس، واترك الغلظة عليهم، وقد أُمر بذلك نبي الله في المشركين". وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله، ﷺ: (ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدَّعون له الولد، ثم يعافيهم ويرزقهم). وعن عبد الله بن عمر قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: "يا رسول الله كم نعفو عن الخادم؟"، فصمت، ثم أعاد عليه الكلام فصمت، فلما كان في الثالثة قال: (اعفوا عنه في كل يوم سبعين مرة). وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله). وقال الحسن البصري: "أفضل أخلاق المؤمن العفو".

وقال الأحنف بن قيس: "إياكم ورأي الأوغاد"، قالوا وما رأي الأوغاد؟ قال: "الذين يرون الصفح والعفو عاراً". وأما صور عفو رسول الله ﷺ عمّن أساء إليه فهي كثيرة، منها أنه عفا عن الأعرابي الذي أتاه وهو نائم تحت الشجرة فأخذ سيفه وقال له: من يمنعك مني يا محمد؟ فقال ﷺ: الله، فسقط السيف من يد الأعرابي، وتمكن منه رسول الله ثم عفا عنه. وعفا كذلك عن الأعرابي الذي جذبه من ردائه وحمَّر رقبته وطلب منه المال، فالتفت إليه ﷺ ولم يعنفه وأمر له بعطاء، وعفا عن ثمامة بن أُثال بعدما أسره بَعْثُ رسول الله قِبَلَ نجد، وكان العفو سببا في إسلامه، وعفا عن المرأة اليهودية التي سممته، وعفا عن أهل مكة بعد فتحها، وعفا عن أبي سفيان يوم فتح مكة، وخصَّه بما هو أكثر من العفو عندما أعلن أن من دخل دار أبي سفيان فهو آمِن، وعفا عن أهل ثقيف بقوله لملك الجبال: (أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا). إذن فالتاريخ يثبت أن المسلم يحقق بالعفو ما لا يحقق بضده، وفوق ذلك أن من اتصف به فهو متأس بالنبي ﷺ وسائر على نهجه وراج من الله عزوجل عفوه ورضاه، فكما تدين تدان. (1)

---

(1) من العدد (120) - جمادى الآخرة 1439 هـ

أخي المجاهد .. لا تَعجلنَّ لأمر أنت طالبه

أخي المجاهد، لتكن الأناة مركبك ورفيقك، وإياك والعجلة فإنها تورث الندامة، واعلم أن الأناة خلق يحبه الله تعالى، ويرضاه من عبده. لا تعجلنَّ لأمرٍ أنت طالبُه***فقلَّما يدركُ المطلوبَ ذو العَجلِ فذو التَّأنّي مصيبٌ في مقاصدِه***وذو التَّعجلِ لا يخلو من الزَّللِ والأناة هي "التمهل في تدبير الأمور ومفارقة التعجل"، فكلما منح المرء نفسه وقتا للتمعن في الأمور والأحداث وتفاصيلها، وصل إلى نتائج أقرب إلى الصواب. وكلما تأنَّى المرء في تصرفاته وردود أفعاله، سما بنفسه عن الصغائر وجنَّبها السفاسف، فأصبح من الذين يلتمسون الأعذار للآخرين، لا من الذين يفتشون عن إدانتهم. ولقد مدح الرسول ﷺ صفة الأناة، عند أشج عبد القيس فقال له: (إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة). ولنا في أناة رسول الله ﷺ عندما أشاع المنافقون في المدينة خبر الإفك خير مثال نقتدي به، فرسول الله ﷺ لم يحدِّث أم المؤمنين عائشة في الأمر إلا بعد إشاعته بأكثر من شهر حيث كانت مريضة. وما سمعَت بالأمر إلا من أم مسطح، ثم استشار ﷺ أسامة بن زيد، وعلي بن أبي طالب في الأمر، ثم سأل خادمتها بريرة عن طباعها وأخلاقها، وبعد ذلك كله ذهب رسول الله ﷺ وتحدث إلى أمنا عائشة وسمع منها، فلم يتسرَّع ﷺ بالحكم من دون تبيُّن، ولم يتخذ قرارا بمجرد سماعه للإشاعة، ثم نزلت براءتها من فوق سبع سماوات.

إنها أخلاق نبينا ﷺ الذي أثنى عليه الله -تعالى- بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}، فلنتشبه -أخي المجاهد- بها ونتأسى بصاحبها فنحن أحق وأولى بها. (1)

من العدد (121) - جمادى الآخرة 1439 هـ (1)

أخي المجاهد .. سادات الناس في الدنيا الأسخياء

أخي المجاهد، للسخاء معانٍ عظيمة حثَّ عليها الإسلام ورغَّب بها، وأجزل العطاء لفاعلها، ووصف بالفلاح أصحابها، فقال تعالى: {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}. فالسخاء هو العطاء عن طيب نفس بدون أن تستكثر النفس ذلك العطاء أو تجد موجدة بعد إنفاقه، وإن أرفع درجات السخاء أن يجود المرء بنفسه في سبيل مولاه، فيقاتل أعداءه لتحكيم شرعه، ويتحمل في سبيل ذلك الأذى والجوع والنصب، ويقدم المال والأهل والولد، ومن جاد بنفسه هان عليه ما دون ذلك، ولذلك فإن الكرم والشجاعة صنوان. قال الإمام ابن تيمية: "وبالشجاعة والكرم في سبيل الله فضَّل الله السابقين فقال: {لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى} ". وعن جابر قال: (ما سُئل النبي ﷺ عن شيء قط فقال: لا). ولنا في سيرة صحابة رسول الله ﷺ عند تجهيز جيش العسرة خير مثال، وقد قدَّم أبو بكر الصديق كل ماله، وجاء عمر بن الخطاب بنصف ماله، وجهَّز عثمان بن عفان ثلث الجيش، وتصدَّق عبد الرحمن بن عوف بمئتي أوقية من الفضة، وقدَّم عاصم بن عدي سبعين وسقاً من تمر، وتصدَّقت النساء بالمعاضد والخلاخل، وتصدَّق العباس بتسعين ألفاً.

وتروي لنا السير أن عثمان بن عفان اشترى بئر رومية من اليهودي الذي كان يبيع الماء للمسلمين بسعر مرتفع، وجعلها للمسلمين دون مقابل، واشتهر عنه أنه كان عتَّاقاً للرقاب. قال الإمام عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب: "ومقام الإنفاق من أشرف مقامات الدين وتفاوت الناس فيه بحسب ما جبلوا عليه من الكرم وضدهما من البخل والشح فالأول: محمود في الكتاب والسنة والثاني: مذموم فيهما، وقد حث الله -تعالى- عباده على الإنفاق لعظم نفعه وتعديه وكثرة ثوابه". وقال بعضهم للسخاء صور كثيرة غير مقتصرة على بذل المال فحسب، بل هي أعم وأشمل، منها سعي الإنسان في قضاء حوائج الناس وتنفيس كرباتهم، ومنها السخاوة بالجاه، بحيث يبذل المرء استطاعته في الشفاعات الحسنة، وبذل القدرة في إحقاق الحق، ونصرة المظلوم، وإعانة الضعيف، وسخاوة الإنسان بوقته في سبيل نفع الناس، كالتعليم والتدريب وغيره، والنصح والإرشاد، ومن صوره كذلك البشاشة في وجوه الناس، والتجاوز عمن أساء. أخي المجاهد، أنفق وأبشر بالثواب، وأبشر فلا خوف ولا حزن، قال الله تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}. أخي المجاهد، أنفق فقد تكفل لمن يعطي بأن يخلف له ويرزقه، كما في قوله تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}. فتأمل أخي هذه النصوص المباركة وتذكرها دائما واجعلها دافعا لك على السخاء في جميع حالاتك، تنل عطاءً لا حدود له من الله تعالى.

(1)

من العدد (122) - جمادى الآخرة 1439 هـ (1)

أخي المجاهد .. لم يكن الرفق في شيء إلا زانه

عن أبي هريرة أن أعرابيا بال في المسجد، فثار إليه الناس ليقعوا به فقال لهم رسول الله، ﷺ: (دعوه، وأهريقوا على بوله ذَنوبا من ماء، أو سَجلا من ماء، فإنما بُعثتم ميسرين ولم تُبعثوا معسرين). وعن عائشة قالت: استأذن رهط من اليهود على النبي ﷺ فقالوا: السام عليك، فقلتُ: بل عليكم السام واللعنة، فقال رسول الله، ﷺ: (يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله)، قلتُ: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: (قلتُ: وعليكم). أخي المجاهد: لقد حثَّ شرعنا الحنيف على الأخلاق الحسنة وحرَّض عليها ليس لأنها تعلو بصاحبها في مراتب الشرف وتُهذب النفس فحسب، بل لأن خيرها ينعكس على كامل المجتمع المسلم وأفراده. ويعتبر الرفق من الأخلاق التي يتعدى خيرها للآخرين، حتى مع غير البشر، فقد روت أم المؤمنين عائشة شيئا من ذلك فقالت: كان رسول الله ﷺ يبدو إلى هذه التلاع، وإنه أراد البداوة مرة، فأرسل إليَّ ناقة محرَّمة -يعني ناقة لم تُركب- من إبل الصدقة، فقال لي: (يا عائشة، ارفقي فإن الرفق لم يكن في شيء قط إلا زانه، ولا نُزع من شيء قط، إلا شانه). وعن أبي يعلى شداد بن أوس عن رسول الله ﷺ قال: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليُرح ذبيحته).

ولا بد للرفق أن يكون لِينا من غير ضعف، وتيسيرا من غير تفريط، وأن يُستعمل في موضعه استعمالا حكيما، فلين الجانب بالقول والفعل هو السهولة والتواضع بالقول والفعل وترك العنف والقسوة والغلظة والفظاظة في الأمر والنهي. قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}. وإذا ما أردت أيها القائد أو الأمير أو الأب أو الزوج أو الأخ أو الجندي أن تكون مطاعا فلا بد لك من لين الجانب أي السهولة في التعامل بدون عنف أو قسوة. واجعل أخي المجاهد رفقك بمن حولك لله، وليكن هدفك أن تُرِيَ الله هذا الرفق في تعاملاتك كلها إرضاء له، وذلك لأنه -تعالى- يحبه منك فقد روت أمنا عائشة أن رسول الله ﷺ قال: (يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه). أي إن الله -تعالى- يسهل الأمور وييسرها بالرفق واليسر ولا يحصل ذلك التيسير والتسهيل بالعنف والغلظة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد. (1)

من العدد (123) - جمادى الآخرة 1439 هـ (1)

أخي المجاهد .. الحلم حلة أهل الإيمان والعقل

قال رسول الله ﷺ لأشجّ عبد القيس: إن فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والأناة). قال الإمام ابن القيم: "قيل للأحنف بن قيس: ما الحلم؟ قال: أن تصبر على ما تكره قليلا". ورُوي أن رجلاً سبَّ ابن عباس،، فلما فرغ الرجل قال ابن عباس: "يا عكرمة، هل للرجل حاجة فنقضيها؟" فنكَّس الرجل رأسه واستحى. ومثلها أن معاوية بن أبي سفيان قال لعرابة بن أوس: "بم سُدْت قومك يا عرابة؟" قال: "يا أمير المؤمنين، كنت أحلم عن جاهلهم وأعطي سائلهم وأسعى في حوائجهم، فمن فعل فعلي فهو مثلي، ومن جاوزني فهو أفضل مني". إنه الحِلم -أخي المجاهد- الذي يعتبر من أهم الصفات التي يجب على المسلم التحلي بها إذا ما أراد أن يكون من أصحاب الخلق الحسن، فهو يعني الطمأنينة عند الغضب، والتفكر قبل الحكم على الشيء، والتعقل والروية. وقال الإمام ابن القيم: "أوثق غضبك بسلسلة الحلم، فإنه كلب إن أفلت أتلف". أخي المجاهد، لقد وصف الله -تعالى- نفسه بهذه الصفة فقال عزَّ من قائل: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ}، وفي آية أخرى: {وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ}، وقال أيضا: {وَاللهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ}. ووصف -تعالى- خليله إبراهيم بها فقال: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ}. وما نال أحد من النبي ﷺ فينتقم منه إلا إذا انتَهَك محارم الله فينتقم لله، فعن أنس بن مالك أنه قال: خَدَمْتُ رسول الله ﷺ سبع سنين، أو تسع سنين، ما علمتُ قال لشيء صنعتُ: لم فعلت كذا وكذا؟ ولا لشيء تركت: هلا فعلت كذا وكذا.

أخي المجاهد، إن الحلم مطلوب في كل الأوقات وفي جميع الظروف وهو كنز ثمين، وهو في زمن الشدائد والفتن أثمن وأحوج، حيث تحار العقول، وتختلج القلوب، وتضطرب المواقف، ولا يسع المرء عند ذلك سوى تقوى الله والحلم. واعلم أن ذلك ليس دعوة للبلادة في الطباع، تجعل المرء محط تلقي الإهانات والإساءات دون رد، ولكنه تريُّث وتعقُّل، ونظر في العواقب وتدبُّر، وتقدير للمصالح والمفاسد، وما لم يكن هناك تدبر للإساءة وأسبابها، فلن يكون هناك قدرة على تجاوزها أو ردها. (1)

من العدد (124) - رجب 1439 هـ (1)

أخي المجاهد .. وهم في غفلة معرضون

الغفلة هي البوابة الذي تعبر منها المعاصي إلى العباد، والمنفذ الذي تسلكه الأمراض إلى القلوب، والطريق الذي تستغله الشهوة للسيطرة على النفوس، فتصبح أقل إحساسا بالواقع والمصير، فلا يستفيق منها الإنسان إلا وقد سيطرت عليه الذنوب، وكبلته بحبالها وقيدته بسلاسلها. وهي ليست فعلا يرتكبه المسلم، بل حالة يعيشها، تنشأ بالابتعاد عن الطاعة والذكر والمراقبة لله تعالى، ولا علاج لها إلا باليقظة، وأهم أسبابها: الصحبة الصالحة، وقراءة القرآن، وترطيب اللسان بذكر الله، آناء الليل وأطراف النهار، والصلاة على وقتها بخشوع وتدبُّر، والالتزام بأوامر الله والابتعاد عن نواهيه، والكف عن السعي خلف ملذات الدنيا والجري خلف شهواتها، والإكثار من السنن والنوافل والأعمال الصالحة. ولا يتجرأ العبد على مخالفة مولاه، وارتكاب الذنوب والمعاصي والتعدي على حقوقه إلا وهو غافل عنه، ساهٍ لاهٍ. وأشد مظاهر الغفلة نسيان الموت، رغم اقترابه، ونسيان لقاء الله رغم دنوِّه، واللهُو والإعراض عن آياته وأوامره، قال تعالى: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ}. وقال تعالى في علاج الغفلة: {وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ}.

وقال رسول الله ﷺ فيما رواه أبو هريرة قال: (من حافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبات لم يُكتبْ من الغافلين، ومن قرأ في ليلة مائة آية كُتبَ من القانتين).

وهي طريقٌ نهايته الحسرة والندامة، قال الله تعالى: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}، عندها لا ينفع لوم ولا يقظة. فانتبه أخي، لتكون من الناجين، واحذر لتكون من الفائزين، والزم ذكر الله والصحبة الصالحة، وتدبر آياته ولا تفتر عن ذكره. يقول ابن القيم،: "إن مجالسَ الذكر مجالسُ الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالسُ الشياطين، فليتخيَّر العبد أعجبَهما إليه وأولاهما به". وإن أحرى من يكون بعيدا عن الغفلة هو أنت أخي المجاهد، فطلب القتل مظانه، والتعرض له، يجعلك أبعد ما تكون عن الغفلة، فكيف لمن ينتظر لقاء الله ويتعرض له في كل لحظة وحين، أن يكون غافلا عن طاعته وعبادته ولقائه، فتذكر -أخي المجاهد- أنك قريب من مولاك، سريع اللقاء به، ولا تغفل عنه تكن من الفائزين. فعن هانئ مولى عثمان قال: كان عثمان، إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تُذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا! فقال: إن رسول الله ﷺ قال: (إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه). (1)

من العدد (125) - رجب 1439 هـ (1)

أخي المجاهد .. إن الله يأمر بالعدل والإحسان

"الإحسان ضد الإساءة، وهو كل مرغوب فيه، وكل ما يَسرُّ النفس من نعمة تنال الإنسان في بدنه ونفسه وأحواله". وتعريف الإحسان في الشرع هو قوله، ﷺ: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك). وقد أمر الله – تعالى- به فقال: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى}، وقال: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}، وقال ﷺ في تفسير هذه الآية: (الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله). وأمر به رسولنا ﷺ بقوله: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبح، وليحدَّ أحدكم شفرته، فليُرِح ذبيحته). والإحسان نوعان: الأول متعلق بعبادة الله، والثاني متعلق بالبشر والمخلوقات الأخرى. فالأول: وهو أعلى مراتب الدين، حيثُ يَرتقي المسلم ويَرتفع إلى درجة أعلى من الإيمان، لأنه لن يصل إلى مرتبة الإحسان إلا ببلوغه الإسلام والإيمان، فيعبد الله وهو يستشعر مراقبته، وكأنه ينظر إليه، فيُحسن العمل ويُجيد العبادة، ويكون مبتغاه من كل عمله رضا الله، ويصبح ظاهره كباطنه، لا يضره الذم ولا يغره المدح. والثاني: هو الإحسان إلى البشر وسائر المخلوقات وشُعَبه كثيرة كالإحسان إلى الوالدين، وإحسان الأزواج بعضهم إلى بعض، والإحسان إلى الأهل والأقارب، والأرامل والمساكين واليتامى والفقراء، والإحسان إلى عامة الناس، قال تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}.

قال الحسن البصري،: "لأن أقضي حاجة أخٍ أحب إليَّ من أن أعتكف سنة". أخي المجاهد: ويدخل في الإحسان إعانة الناس على جميع الفضائل التي أمر الإسلام بها كقضاء الحوائج، والإعانة بالمال، وتفريج الكربات، ومواساة المرضى، والمعاملة بالأخلاق الحسنة معهم، مراعين في ذلك كله مراقبة الله – تعالى- لنا وطلب رضاه. ومن أعظم أبواب الإحسان إلى الآخرين، الإحسان بالنصيحة، وتعليم العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فليس أعظم من نصيحة أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر ينتفع بها الناس في دينهم ودنياهم. وأول المستفيدين من الإحسان هم المحسنون أنفسهم، يرون ثمرته في نفوسهم، فيجدون الانشراح والسكينة. قال ابن القيم -: "ومن رفق بعباده رفق به، ومن رحم خلقه رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن صفح عنهم صفح عنه، ومن تتبع عورتهم تتبع عورته، ومن هتكهم هتكه وفضحه، ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن شاق شاقَّ الله -تعالى- به، ومن مكر مكر به، ومن خادع خادعه، ومن عامل خلقه بصفة عامله الله –تعالى- بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة " (1)

من العدد (126) - رجب 1439 هـ (1)

أخي المجاهد .. راجع نفسك وحاسبها

أخي المجاهد، اعلم أن على المسلم ألَّا يتبع هوى نفسه، وأن يراجعها ويردَّها إلى جادة الصواب إن هي انحرفت أو قصَّرت، ولن يعرف المجاهد انحرافها وتقصيرها إن كان غافلا عنها قليل المراجعة والتأنيب لها على ما فرطت به من معاصٍ وذنوبٍ وبعدٍ عن الحق، ولن تُردَّ هذه النفس إلى رشدها وصوابها إن كان صاحبها ساهيا غافلا قليل الذكر، لا يقرأ القرآن ولا يتدبَّر آياته، ولن تُردَّ إلى صوابها إن كان صاحبها لا يملك من العلم الشرعي ما يجعلها تسمو به إلى مرتبة أعلى. كما أن على هذه النفس أن تتفقَّه في معاني الجهاد والرباط والصبر والمصابرة لتثبت على أمر ربها، والأعظم من هذا كلِّه أن تستشعر هذه النفسُ خشية الله والخوف من لقائه، فإن حرصتَ على أن توطِّن نفسك للقائه سبحانه، فلن ترضى أن تلقاه وهو ساخط عليك بل تتمنى أن تلقاه بنفس مطمئنة راضية مرضية، قال تعالى: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً}. فعليك -أخي المجاهد- لبلوغ هذه المرتبة محاسبة نفسك أولا بأول، ومراقبتها في كل الأمور، وعلى رأسها: • مراجعة النية في كل قول أو عمل. • أداء الفرائض على أكمل وجه. • دوام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. • قيام الليل وأداء النوافل. • قراءة القرآن وتدبُّر معانيه. • المحافظة على أذكار الصباح والمساء.

أخي المجاهد، أنت أولى الناس بمراقبة نفسك، فقد حملت على عاتقك همَّ إيصال دعوة الأنبياء والمرسلين، وأنت تحمل هذه الرسالة براحة يدٍ وتحمل روحك بالأخرى لتقدِّمها رخيصةً لمولاها، كما أنك الأقرب من حياض الموت ومواطن الردى، فكم من مرة رجوت الله ودعوته مخلصا له الدين أن ينجِّيك لتعود لتصلح ما أفسدت من نفسك فلما أنجاك أتبعت نفسك هواها وعدت للتقصير. أخي المجاهد، ذلَّ نفسك بين يدي مولاها وعُد إلى الله وتُب إليه كل يوم بل كل ساعة، واستغفر ربك لتفريطك في جنبه سبحانه، وضع لنفسك ميزانا تزن به أعمالها وتردها إلى صراطها المستقيم. (1)

من العدد (127) - رجب 1439 هـ (1)

أخي المجاهد .. كن من المُؤْثِرين

إنّ تغيّر ما في النفس أشق ما يواجهه الإنسان في مسيرته، ففي الوقت الذي يبدل المرء بعض أفكاره بين الفترة والأخرى، يكاد لا يجد أنه غيَّر شيئاً من أخلاقه وصفاته طيلة سنوات. وكثيرة هي الأخلاق الحسنة التي يدعي المرء التحلي بها، ولكن تراه يسقط عند أول امتحان يواجهه، وإن من أكثر الصفات التي تُعرِّي المرء أمام نفسه وتجعله يقف على مكنوناتها، ويكتشف ماهيتها، وينكشف أمامها، صفة الإيثار، فهي صفة لا يستطيعها إلا من أوتي حظاً كبيراً من الإيمان واليقين، والزهد، والرغبة فيما عند الله، والتصديق بموعوده. فحين يُقدِّم المرء أخاه على نفسه، في الخير والنفع ودون مقابل، وحين يدفع الشر عنه قبل أن يدفعه عن نفسه دون أجر، فذاك منتهى الأخوة. وقد أثنى الله -تعالى- على أصحاب رسول الله ﷺ بما تمتعوا به من هذه الصفة، فقال: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ}، وعن أبي هريرة أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني مجهود، فأرسَل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى، فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء. فقال النبي، ﷺ: (من يضيف هذا الليلةَ؟) فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله، ﷺ، وفي رواية قال لامرأته: هل عندك شيء؟

فقالت: لا، إلا قوت صبياني، قال: فعلليهم بشيء وإذا أرادوا العشاء فنوميهم، وإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج، وأريه أنَّا نأكل، فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويَين، فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال: (لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة). فليس كالإيثار -أخي المجاهد- خلق يقوي علاقة الإخوة بعضهم ببعض، وينشر الرحمة فيما بينهم، ويحقق السكينة والاطمئنان والرضى لقلوبهم، ويعمل على معالجة الصفات المذمومة في نفوسهم، كالبخل، والأنانية، والحسد والتنافس على الدنيا والتزاحم على ملذاتها. أخي المجاهد، إنك بتقديم روحك في سبيل الله، دفاعا عن دينك وإخوانك وأهلك وأعراض المسلمين تكون قد حِزت أعلى درجات الإيثار ومراتبه، فلا تبخل على إخوانك بما هو دونها، فأنت آثرت رضا الله -تعالى- وآثرت ما عنده على ما عندك. قال ابن القيِّم في هذا المعنى: "إن أعلى درجات الإيثار هو أن يريد ويفعل ما فيه مرضاته تعالى، ولو أغضب الخلْق، وهي درجة الأنبياء، وأعلاها للرُّسل عليهم صلوات الله وسلامه، وأعلاها لأولي العزم منهم، وأعلاها لنبيِّنا، ﷺ".

ومن إيثار الصحابة بعضهم على بعض ما روي عن عمر بن الخطَّاب أنه أخذ أربعمائة دينار، فجعلها في صرَّة، ثمَّ قال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجرَّاح، ثمَّ تلكَّأْ ساعة في بيته حتى تنظر ماذا يصنع بها، فذهب بها الغلام إليه، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: وصله الله ورحمه، ثمَّ قال: تعالي يا جارية، اذهبي بهذه السَّبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفدها، فرجع الغلام إلى عمر، فأخبره فوجده قد أعدَّ مثلها لمعاذ بن جبل، وقال: اذهب بهذا إلى معاذ بن جبل، وتلكَّأْ في بيته ساعة حتى تنظر ماذا يصنع، فذهب بها إليه، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: ووصله، وقال: يا جارية، اذهبي إلى بيت فلان بكذا وبيت فلان بكذا، فاطَّلعت امرأة معاذ فقالت: ونحن والله مساكين فأعطنا، ولم يبق في الخرقة إلَّا ديناران فنحا بهما إليها، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره، فسُرَّ بذلك عمر، وقال: إنَّهم إخوة بعضهم مِن بعض. (1)

من العدد (128) - شعبان 1439 هـ (1)

أخي المجاهد .. من تواضع لله رفعه

لا تكتمل الصفات الحسنة للرجال ما لم يتزينوا بالتواضع، فهو بوابة العبور للقلوب، لا يسلكها إلا من اتصف به، وقلَّ أن ترى رجلا مألوفا عند الناس ليس متخلقا به، أجمع الناس على استحسانه، وجبلت النفوس على حبه. عرَّفه أهل اللغة بالتذلل، من تواضعت الأرض، أي انخفضت عمّا يليها، واصطلاحا: بلين الجانب والبُعد عن الاغترار بالنفس، قال تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا} قال ابن كثير: "أي بسكينة ووقار من غير تجبُّر ولا استكبار". إنه التواضع، يرتقي صاحبه بأعين الناس إن ألان لهم جانبه، ويعظم في عيونهم إن بسط لهم نفسه، وكما الأرض المتواضعة المنخفضة تفيض بالماء وتنعم بالبركة والخير الوفير، كذلك النفس المتواضعة تنعم بالقبول والأنس من الجميع. أخي المجاهد: كيف لبشر خلقه الله من تراب، وشرفه بعبوديته أن يتجاوز حدود ما شرعه الله ويتكبر، وينظر لغيره بعين الصغار، وهو عند الله أصغر، فهنيئا للمتواضعين اندراجهم تحت: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}، وتعسا للمندرجين تحت {فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ}. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ}، وقال تعالى: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المؤْمِنِينَ}.

فكان أكثر من تمثلت به هذه الصفة الكريمة هو نبينا محمد ﷺ، فكان يركب الحمار ويلبس الصوف ويأكل على الأرض وينام على الأرض ويجلس على الأرض على حصير وكان يعقل الشاة ويخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل في خدمة أهله في بيته ويسلم على الصبيان ويجيب دعوة المملوك على خبز شعير، وتأخذ الأمة الصغيرة بيده فتنطلق به حيث شاءت في المدينة، فهذه صفة النبي الكريم في التواضع، وهو القائل ﷺ: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله). وحذر رسول الله ﷺ من التكبر وضرب لنا مثلا على سوء مصرع ومصير صاحبه، فعن أبي هريرة أن رسول اللهﷺ قال: (بينما رجل يتبختر يمشي في برديه، قد أعجبته نفسه، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة). ورفض ﷺ أن يتم إطراؤه بالكلام وفضل وصفه بالعبد فعن عمر بن الخطاب قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله). أخي المجاهد لقد دعا ﷺ إلى التواضع، وحَثّ عليه لما له من فوائد كثيرة، فقد روى عياض بن حمار قال: قال رسول الله ﷺ: (إنّ الله أوحَى إليَّ أنْ تواضعوا حتى لا يَفْخَر أحد على أحد ولا يَبغي أحد على أحد). وقد ذكر لنا ربنا أن أعظم فوائده هي الجائزة الكبيرة التي يحصل عليها المتواضعون في الدار الآخرة فقال سبحانه: {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}.

قال ابن كثير: "يخبر تعالى أنَّ الدَّار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول، جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علوا في الأرض، أي: ترفُّعاً على خلق الله وتعاظماً عليهم وتجبُّراً بهم". (1)

من العدد (130) - شعبان 1439 هـ (1)

أخي المجاهد .. والكاظمين الغيظ

ليس أشقَّ على النفس شيئا مثله، فهو أشد خصومة للمرء من خصمه، يتصّف به الحكماء، ويقدر عليه العقلاء، فهو سلاحهم أمام الجهل والاستفزاز، وأتقن السيطرة عليه من كان عمله لله خالصا، ولوجهه متطلعا، فاستوى عنده المدح والذم، فلم يُستفز بالتوافه، ورغم قدرته ترفَّع عن الرد، شَرع الدين الحنيف له أن يعاقِب بمثل ما عوقِب، غير أنه فضَّل ما هو أعظم. إنه كظم الغيظ، أساسه التحكم بالغضب الشديد إزاء إساءة أو تصرف صدر من غيرك، فهو يحتاج إلى مجاهدة عظيمة لأنه شديد على النفس، ولكن إذا استعان المرء بالله تعالى عليه، وروَّض نفسه على حبسه صار عليه أقدر، ومرة بعد أخرى سيكون أسهل. ولكظم الغيظ فوائد جمة، فهو أحد صفات الواردين إلى الجنة، المستحقين للمغفرة، ووجَّه الله عباده إلى التحلّي به فقال: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}. قالوا في تعريفه أنه: حبس الغيظ والغضب، وإمساكه، وضبط النفس وعدم إنفاذ العقوبة للمسبِّب له مع القدرة على ذلك.

وقالوا عن حسن آثاره الدنيوية: النجاة من التصرف الخاطئ المتسرع الذي يجلب الندامة، والتغلب على الشيطان، والانتصار على وساوسه، وإفقاده الأمل من إيقاع العبد في الغضب، وفيما لا يرضي الله، وفيما لا تعقُّل فيه، وتحقيق تقوى الله، وتدريب النفس على التحمل والصبر، والتحلي بخُلق الأنبياء، والشعور بالسعادة، وراحة النفس بعد الانتصار عليه، وكسب محبة الآخرين، وتحويل الأعداء إلى أصدقاء ومحبِّين، وإتاحة الفرصة للمرء للتفكير بحكمة ورويَّة، والنظر للأسباب الحقيقية للخصم، وإيجاد الحلول الحقيقية للمشكلات. أخي المجاهد، اعلم أن صبرك على من جهل عليك أجر ومثوبة، وهو ليس بالمستحيل ولا بالسهل، وله أسباب إن استعنت بها بات الكظم ممكنًا، ولقد ذكر بعضهم أمورا تُعين عليه منها: دعاء الله، واحتساب الأجر والثواب، والاستعانة بالصبر، واللين والرفق بحق المخطئ، وتربية النفس على الرضا، وحسن الظن بالآخرين، وتجنُّب السرعة في الحكم عليهم، وسعة الصدر، والسمو بالنفس، وتجنب جدال الجاهلين، وحفظ المعروف والخير السابق للمسيء، والتقليل من الكلام حال الغضب، وتذكُّر وصية الرسول الكريم محمد ﷺ بعدم الغضب، وتغيير الحالة التي يكون عليها المرء كأن يجلس إذا كان واقفاً، والاستغفار، وترك مكان النزاع، واللجوء إلى الوضوء، وتعلم العلم النافع، وضبط اللسان، ومعرفة عواقب الأمور، ورجاحة العقل، والتقوى، والتربية على حسن الخلق. أخي المجاهد، إنك بأمسِّ الحاجة للتخلق بخلق الأنبياء والمرسلين، فالأخلاق الحسنة جوهرة ونحن أحق بها من غيرنا، فلنجاهد أنفسنا للتمثُّل بها، ولنسعَ لها ففيها الخير والوقار والسكينة والأجر.

(1)

أخي المجاهد .. إيَّاكم والظن فإنه أكذب الحديث

بسببه يُتهم البريء، ويُكذَّبُ الصادق، ويخوَّن المُؤتمن، ويُرمى العفيف، ويُدان المظلوم، وهو باب من أبواب الظلم، يتلبس بأصعب المواقف التي يتعرض لها المرء في حياته، وقد حذرَنا رب العزة منه، وأمرنا باجتنابه والابتعاد عنه فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ}. إنه سوء الظن، له محرضات كثيرة أولها الادِّعاء بمعرفة ما في القلوب، والزعم بالاطلاع على خبايا الصدور، ولقد علَّمنا الشرع الحنيف ألا نحكم على الناس من خلال السرائر، فالله تعالى -هو الوحيد- المطلع عليها، ولم يسمح لنا بالتفتيش فيها والتنقيب بها. أخي المجاهد: إن الحكم على ما في قلوب الناس يدفع المرء لإساءة الظن بهم، فيرى الخطأ غير المقصود مفتعلا ومدروسًا، بل عن سابق قصد وترصد، ويسمع الكلمة -حمَّالة الأوجه- ذما، ويرى الابتسامة استهزاء، والمزاح ازدراء، والنصيحة اتهاما، والعون انتقاصا. فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانها).

ففي الحديث تحذير من رسول الله ﷺ من التحسس والتجسس، لأن بهما اطلاع على جزء من الأمر وليس كله، وقد يكون الحق فيما خفي، كذلك الحسد مدخل من مداخل سوء الظن بالناس، فهو يحرض عليه، فما مبرر تمنيه زوال النعمة عن أخيه إلا أن الأخير فعل كذا وقال كذا وقصد كذا، فهو بذلك يبرر حسده ولن يرى كسوء الظن معينا له على ذلك، وقل ذلك أيضا عن التباغض، فإذا ما أبغض المرء أخاه أساء الظن به. وإن الأولى بالمسلم الانشغال بذكر الله عن الانشغال بعورات الناس وتتبعها، والعمل على علاج أمراضه بدل السعي لعلاج أمراض غيره، فمن انشغل بنفسه لن يجد الوقت للانشغال بالآخرين. وليس المقصود هنا التوقف عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل المقصود أن يبتعد المرء عن إساءة الظن إن لم يكن لديه دليل قاطع واضح بيّن، وتحسين الظن فيما يستوعب ذلك. قال أحدهم: "إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له العذر جهدك، فإن لم تجد له عذراً فقل في نفسك: لعلَّ لأخي عذراً لا أعلمه". وقال تعالى: {وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا}. أخي المجاهد إن الشيطان متكفل بسوء الظن، فهو الوقود الذي يستعمله لزرع الخصومات والعداوات بين الإخوة، ولا يكاد يفتر عن التحريش بينهم، وأهم الأمور الواجب اتباعها لقطع الطريق على الشيطان في هذا الباب هو إحسان الظن بإخوانه والمسلمين.

قالوا عن سوء الظن: "من حكم بشرٍ على غيره بمجرد الظن حمله الشيطان على احتقاره، وعدم القيام بحقوقه، والتواني في إكرامه، وإطالة اللسان في عرضه، وكلها من المهلكات، فليس أريح لقلب العبد في هذه الحياة ولا أسعد لنفسه من حسن الظن، فبه يسلم من أذى الخواطر المقلقة التي تؤذي النفس، وتكدر البال، وتتعب الجسد". "ثم إن من آفات سوء الظن أنه يحمل صاحبه على اتهام الآخرين، مع إحسان الظن بنفسه، وهو نوع من تزكية النفس التي نهى الله عنها في كتابه فقال: {فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} ". وعن الأسباب التي تعين المسلم على إحسان الظن بالآخرين عدَّد بعضهم أمورا، أهمها: حمل الكلام على أحسن المحامل، واستحضار آفات سوء الظن، ودعاء الله تعالى والالتجاء إليه لتخليصه من هذه الآفة، وإنزال النفس منزلة الآخر، فلو أن كل واحد منا عند صدور فعل أو قول من أخيه، وضع نفسه مكانه لحمله ذلك على إحسان الظن بالآخرين، وقد وجَّه الله عباده لهذا المعنى حين قال سبحانه: {لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً}. (1)

من العدد (132) - شعبان 1439 هـ (1)

أخي المجاهد .. من تواضع لله رفعَه

لا تكتمل الصفات الحسنة للرجال مالم يتزيَّنوا به، فهو بوابة العبور للقلوب، لا يسلكها إلا من اتصف به، فقلَّ أن ترى مألوفا عند الناس ليس مُتخلِّقا به، أجمع الناسُ على استحسانه، وجُبلت النفوس على حبِّه. إنه التواضع، يرتقي صاحبه بأعين الناس إن أخفض لهم جناحه، ويعظُم في عيونهم إن بسط لهم نفسه، وكما الأرض المتواضعة تنعم بالبركة والخير الوفير، كذلك النفس المتواضعة تنعم بالقبول والأنس من الجميع. أخي المجاهد: كيف لبشر خلقه الله من تراب، وشرَّفه بعبوديته أن يتعدى خصائصه ويأنف، ينظر لغيره بعين الصغار ويترف، وهو عند الله أصغر، فهنيئا للمتواضعين اندراجهم تحت:(يحبهم ويحبونه)، وتعسا للمندرجين تحت (وبئس مثوى المتكبرين). قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ}. وإن أكثر من تمثَّلت به هذه الصفة النبيلة نبيُّنا محمد بن عبد الله ﷺ، فعن أبي موسى الأشعري قال: "كان رسول الله ﷺ يركب الحمار، ويلبس الصوف، ويعتقل الشاة، ويأتي مراعاة الضيف". وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو، إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله).

وحذَّر رسول الله ﷺ من التكبر وضرب لنا مثلا على سوء مصير صاحبه، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (بينما رجلٌ يتبختر يمشي في برديه قد أعجبته نفسه فخسف الله به فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة). قال تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا}، قال ابن كثير: "أي بسكينة ووقار من غير تجبُّر ولا استكبار". أخي المجاهد لقد دعا النبي ﷺ إلى التواضع، وحَثّ عليه لما له من فوائد كثيرة، فقد روى عياض بن حمار قال: قال رسول الله ﷺ:(إنّ الله أوحَى إليَّ أنْ تواضعوا حتى لا يَفْخَر أحد على أحد ولا يَبغي أحد على أحد). وقد ذكر لنا ربنا أن أعظم فوائده هي الجائزة الكبيرة التي يحصل عليها المتواضعون في الدار الآخرة، قال سبحانه:{تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}. جعلنا الله ممن يتواضعون لعباده المؤمنين، ويلين جناحهم للمسلمين، وأعاذنا الله من الكبر والمتكبرين. (1)

من العدد (133) - رمضان 1439 هـ (1)

أخي المجاهد .. مركب الرجال لبلوغ المقاصد

لا يبلغ المرء مراتب الشرف إلا بها، فهي دأب الطامحين، ومركب القاصدين، وسبيل الراغبين، لا يلزمها إلا من قصد العُلى، وأتبع السعي للمُنى، فأرهق النفس للبلوغ، وأتعب الجسد للوصول. فهي الدافع للعمل، والمحرِّض على النجاح، وقد شبَّهوها بجناحي الطائر، يطير بها المرء فتحلق به إلى أعلى الآفاق، طليقة من القيود التي تكبل الأجساد. إنها الهمة يجود صاحبها بأغلى ما يملك لبلوغ هدفه، وتحقيق غايته، ولا غنى له عنها في سعيه للمكارم والخيرات، وعلو الدرجات، ومن علم أن الجنة محفوفة بالمكاره، أدرك أنه لا بد من البذل، ومن أيقن أن الشهادة غالية علم كذلك أنه لن ينالها بالقعود، فالدرب ورغم أنها مفروشة بالمشقة، إلا أنها مشقة محمودة مُسعدة، يرتاح الجسد في خِضمِّها عندما يستشعر مرضاة ربه، وتطمئن النفس إن استحضر أن ذلك ما هو إلا في سبيل ربه، ولقد مدح ربنا علو الهمة بقوله، فقال جلَّ من قائل: {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا}، وقال تعالى {وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. ولا بد لعلو الهمة من زاد يدفعها نحو الاستمرار والتجدد، وإن خير الزاد التقوى وأفضله الصبر، فلا شيء من دون التقوى، ولا نتائج مرجوة من دون الصبر، قال تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}.

وإن علو الهمة ليس أحد أجدر بها منك أخي المجاهد، فأنت على رأس الأمر، وهذه المرتبة لا بد لها من همة عالية. ومن العوامل المساعدة عليها: الاستعانة بالله، وكثرة الذكر، والتزام النوافل وكثرة الصلاة، وقراءة القرآن، وذكر الموت واستحضار لقاء الله، وكثرة الدعاء، ومصاحبة أصحاب الهمم العالية، والابتعاد عن الكسالى والمثبِّطين، والمحبطين واليائسين والبائسين. فالتحلي بها يجعلك أخي المجاهد تتطلَّع إلى كل شرف، وتبتعد عن كل نقيصة، وليكن هدفك مرضاة الله، وحذار أخي أن تستخدم علو همتك في التنافس على جاه أو سلطان أو إمارة، وارغب بما عند الله، وازهد بما عند سواه، واجعل سعيك وتنافسك مع إخوانك على الطاعات، واستحضر في كل أحوالك قول التابعي الجليل وهيب بن الورد: "إن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل". وقول الحسن البصري -: "من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياه فألقها في نحره". وقد ضرب الله لنا مثلا عن أصحاب الهمم المتدنية ليحذّرنا من أعمالهم فقال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}.

ومن الأسباب التي تؤدي إلى دنو الهمة: الوهن، والفتور، وإهدار الوقت في غير طاعة الله، والعجز، والكسل، والغفلة، والتسويف والتمني، وكثرة المعاصي، والسعي في ملذات الدنيا، فاحذر أخي المجاهد منها وابتعد قدر الإمكان عنها، ولتكن همتك مرتبطة بالسعي لأشرف مقصد، ألا وهو نشر التوحيد وقتال أعداء الله والشهادة في سبيله. ولقد قال الشاعر قديما: إذا غامرت في شرف مروم**فلا تقنع بما دون النجوم فطعم الموت في أمر صغير***كطعم الموت في أمر عظيم (1)

من العدد (134) - رمضان 1439 هـ (1)

أخي المجاهد .. وشاورهم في الأمر

عن المِسْوَر بن مخرمة في قصة الحديبية قال: فلما فرغ رسول الله ﷺ من قضية الكتاب قال لأصحابه: (قوموا فانحروا، ثم احلقوا)، قال: فو الله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، قال: فلما لم يقم منهم أحد، قام فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟، اخرج، ثم لا تكلم أحدا منهم حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فقام، فخرج، فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا. وفي موقعة بدر قال ﷺ: أشيروا عليّ أيها الناس، فقام سيدنا سعد، وقال: يا رسول الله لكأنك تعنينا؟ قال: أجل، قال: يا رسول الله لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق فامض لما أراك الله، نحن معك لن يتخلف منا رجل واحد، إنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء فحارب من شئت، وسالم من شئت، وعادِ من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، فو الذي بعثك بالحق إن الذي تأخذه من أموالنا أحب إلينا من الذي تبقيه لنا فامض على بركة الله، لو خضت هذا البحر لخضناه معك. هذا فِعل رسول الله ﷺ النبي المعصوم، الذي يتلقى الوحي من السماء، وهو أغنى من يكون عن المشورة، لكنه فعلها، وكررها، وحث عليها، وما ذلك إلا درس لنا، وإيعاز بأهميتها، وتنبيه لضرورتها، وهذا كله امتثال لقوله تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}.

أخي المجاهد إن الاستشارة مستحبة بكل المواطن، بل تكاد تكون واجبة في بعضها، وأكثر ما تكون كذلك في ساحات الوغى، وأكثر من يجب عليه الالتزام بها هو المجاهد، الذي قد يترتب على قراره سفك دماء إخوانه، وأرواح المسلمين، فكم من دماء حُفظت بمشورة أمير عاقل، وكم من أرواح أُزهقت بتعنُّت جاهل، رفض مشورة إخوانه واستبدَّ برأيه. أخي المجاهد إن المشورة كنز قد يقيك عناء الطريق ومشقة المسير، فكلمة صغيرة من أخ بسيط قد تكون حليفة التوفيق والنجاح، فلا تغتر برأيك، فقد يأتي الشقاء على يديك، فتكون سببا في ظلم نفسك وغيرك. وتذكر أن هذا الأمر لا يصلح له متكبر، فلن تقدر على طلب المشورة مالم تكن متواضعا، واحذر الابتعاد عن إخوانك فلن تقوى على هذا الأمر كذلك ما لم تكن قريبا منهم، تجالسهم، تمازحهم، تندمج معهم، كي لا ترى حرجا في طلب المشورة منهم، وانتق في ذلك صاحب الخبرة والتقوى، وتحيَّن الوقت المناسب، ولا تتردد في طلبها وقت حاجتها، ولا تفوِّت على نفسك الفرصة في طلبها ابتغاء وجه الله تعالى بإخلاص وابتغاء مرضاته. واحذر أخي المجاهد إن امتنعت عن استشارة إخوانك من امتناعهم عن نصحك، واعلم أنك إن جعلتها ديدنك فإنهم سيجعلون النصح ديدنهم، ولن يبخلوا عليك بآرائهم، فقد يُكرم الله تعالى أحدهم برأي يكون فيه السداد، فتسود به أنت وهم في الدنيا والآخرة.

واعلم أخي أن المشورة تجعل إخوانك شركاء لك في الأمر، يتحملون المسؤولية معك، ويتبنُّون قرارك، ويعملون على تنفيذه وإنجاحه، وفيها تقدير لهم واحترام لذواتهم، وإن وافق رأيُك رأيهم، فذلك تعزيز له وتقريبه من قلوبهم (1)

من العدد (137) - شوال 1439 هـ (1)

أخي المجاهد .. كن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول

روي أن لقمان قال لابنه: "يا بني، إن غُلبت على الكلام، فلا تغلب على الصمت، فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، إني ندمت على الكلام مرارًا، ولم أندم على الصمت مرة واحدة". وقال ابن بريدة: رأيت ابن عباس آخذًا بلسانه، وهو يقول: "ويحك، قل خيرًا تغنم، أو اسكت عن سوء تسلم، وإلا فاعلم أنَّك ستندم". قال: فقيل له: يا ابن عباس، لم تقول هذا؟ قال: "إنه بلغني أنَّ الإنسان ليس على شيء من جسده أشدُّ حنقًا أو غيظًا يوم القيامة منه على لسانه إلا ما قال به خيرًا، أو أملى به خيرًا". وعن سهل بن سعد عن رسول الله ﷺ قال: (من يضمن لي ما بين لَحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة). قال ابن عبد البر: "في هذا الحديث دليل على أن أكبر الكبائر إنما هي من الفم والفرج، وقال ابن بطال في فتح الباري: "دلَّ الحديث على أن أعظم البلاء على المرء في الدنيا لسانه وفرجه، فمن وُقي شرهما وقي أعظم الشر". وكان رسول الله ﷺ طويل الصمت، كثير الذكر، قليل الضحك، فعن سماك بن حرب، قال: "قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس النبي ﷺ؟ قال: نعم، كان طويل الصمت، قليل الضحك، وكان أصحابه ربما تناشدوا عنده الشعر والشيء من أمورهم، فيضحكون، وربما يتبسم". وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت).

أخي المجاهد إن الصمت عمَّا لا يرضي الله منجاة من النار، ومرضاة لله، واتقاء من غضبه، به السلامة من الندم، والنجاة من الزلل، وهو وقار للرجال، لا حِكمَة إلا بالتزامه، والمعين على اجتياز الصراط يوم الدين، وهو ليس انعزالا عن الناس بقدر ما هو انعزال عن الاحتياج للاعتذار للناس ونجاة من الزلل والغيبة والنميمة ونجاة من القول على الله بغير علم. فعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: (من صمت نجا). وروي أن أعرابيا كان يجالس الشعبي ويطيل الصمت، فقال له الشعبي يومًا: ألا تتكلم؟، فقال: "أَسكت فأَسلَم وأَسمع فأَعلَم؛ إنَّ حظَّ المرء في أذنه له، وفي لسانه لغيره". وقد قال بعض الصالحين: "الزم الصمت يكسبك صفو المحبة، ويأمِّنك من سوء المغبة، ويلبسك ثوب الوقار، ويكفك مؤنة الاعتذار". والشرع قد حثَّ على الصمت ورغَّب فيه؛ لأنه يحفظ الإنسان من الوقوع في آفات اللسان ومنكرات الأقوال، ويسلم به من الاعتذار. (1)

من العدد (138) - شوال 1439 هـ (1)

أخي المجاهد .. التزمه إن أحببت أن يكون الله معك

لا تُعرف قيمته إلا في النوازل، ولا يثبت أصحابه إلا في الشدائد، فلا وجود له في الرفاه، ولا معنى له في الرخاء، أكثر ما يحتاجه الرجال في الفتن، وهو أكبر معين لهم على المحن، وقد مدح رب العزة صاحبه، وذكر أنه في معيَّته قال تعالى: {إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}. لا يولد مع المرء في فطرته، ولا هو جزء أصيل في شخصيته، بل هو بالاكتساب يُنال، وبالتدريب يُطال، يكتسي صاحبه تاج الوقار إن استمسك به، ويفوز برضى الرحمن إن تمثَّله، مُرٌّ في بدايته، حلو في نهايته، يُقرِّب المرء من مولاه، ويُنقّي روحه، ويسمو بها إلى المعالي. من علاماته الرضى بقدر الله، والتسليم بقضائه، وعدم السخط، والاعتراض، والتشكي، فما صبر من اعترض، ولا احتسب من لجّ واشتكى، وإنما الصابر مستكين لمولاه، مستأنس به، قريب إليه، مستسلم له، موقن بالفرج، وفرح بالتعرف إليه، وليس شيء كالمحن تُقرب المسلم إلى مولاه، ولا كالصبر شيء يعرفه عليه. إنه الصبر الذي يُهذِّب النفس، ويصقل الأخلاق، ويسمو بالروح، ويعلو بالهمم، والذي لا غنى لأحد عنه مهما بلغت مرتبته، وعلا شأنه، وعظم أو قلَّ قدره، وكم يحتاج إليه أهل الثغور، ويطلبه رجال الوغى.

ولقد ذكر الله تعالى لنا كل ما يخص الصبر، أو يلوذ به، كأهميته، وأجره، ومكانة صاحبه عند الله، والخير الذي يصيبه، وعلَّمنا جلَّ في علاه كيف يستعين المؤمن على المصائب والمحن التي تصيبه في حياته فقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}. قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:(والصبر صبران، فصبر على ترك المحارم والمآثم، وصبر على فعل الطاعات والقربات، والثاني أكثر ثوابا لأنه المقصود، كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الصبر في بابين، الصبر لله بما أحب، وإن ثقل على الأنفس والأبدان، والصبر لله عما كره وإن تنازعت إليه الأهواء. وروى عن علي بن الحسين زين العابدين أنه قال: إذا جمع الله الأولين والآخرين ينادي مناد: أين الصابرون ليدخلوا الجنة قبل الحساب؟، قال: فيقوم عنق من الناس، فتتلقاهم الملائكة، فيقولون: إلى أين يا بني آدم؟، فيقولون: إلى الجنة، فيقولون: وقبل الحساب؟ قالوا: نعم، قالوا: ومن أنتم؟ قالوا: الصابرون، قالوا: وما كان صبركم؟ قالوا: صبرنا على طاعة الله، وصبرنا عن معصية الله، حتى توفانا الله، قالوا: أنتم كما قلتم، ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين). وبشَّر رب العزة المؤمنين الذين يصبرون على البلاء فقال: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}. وأمر الله تعالى نبيه ﷺ بالتزام الصبر كما التزمه أولو العزم من الرسل، فقال تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ....}. وذكر تعالى أنه مع الصابرين فقال: {إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}، وأنه يحبهم فقال: {وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}.

إنها نتائج تستحق مقدمتها، ومراتب تتناسب مع ما بذلوا من آلام، وما كتموا من حسرات في سبيل مولاهم العظيم. فمن للأسير غير الله، ومن للمكلوم سوى الكريم، ومن للأرملة واليتيم والمصاب والحزين والوحيد والفقير والمسكين سوى العليم، ومن لرجال الوغى إذا ما تزلزلت الأقدام مثبِّتا سوى الله. أخي المجاهد ليكن الصبر زادك في كل حالك، فأنت على خير عظيم ما التزمت به واستأنست إليه، واجمع إليه التقوى ما استطعت، فما بينك وبين أن تنتقل إلى الفردوس الأعلى سوى خطوات وأنفاس، فاجعل التقوى والصبر زادك في الطريق تفلح في الدنيا والآخرة بإذن الله. (1)

من العدد (139) - شوال 1439 هـ (1)

أخي المجاهد .. تبسُّمك في وجه أخيك لك صدقة

ليست الأخلاق الحسنة صفات نفسية يعيش المرء معها في سره فينعم بها وحده، بل هي انعكاسات تفاعلية يتشارك المرء بها مع إخوانه وجميع من حوله، ومن هذه الأخلاق، البشاشة. فهي عنوان ينمُّ عمَّا في سريرة المرء من طيب وكرم، ورفعة وسمو نفس، وقد مدح رسول الله ﷺ البشاشة فقال فيما يرويه أبو ذر: (لا تحقرن من المعروف شيئا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق). وقال صاحب "دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين" في شرحه للحديث: "أي أن تلقى أخاك بوجه ضاحك مستبشر، وذلك لما فيه من إيناس الأخ المؤمن، ودفع الإيحاش عنه، وجبر خاطره، وبذلك يحصل التَّأليف المطلوب بين المؤمنين، وأن تلقاه متهلِّلا بالبِشْر والابتسام؛ لأنَّ الظَّاهر عنوان الباطن، فلُقْيَاه بذلك يشعره بمحبَّته له، وفرحه بلُقْيَاه، والمطلوب من المؤمنين التوادُّ والتحابُّ". ولقد بلغت طلاقة الوجه مرتبة الصدقة لما لها من أهمية في تآزر الأخوَّة وتماسكها، فعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ:(تبسُّمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرَّجل في أرض الضَّلال لك صدقة، وبصرك للرَّجل الرَّديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشَّوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة). وقال معاذ بن جبل: "إنَّ المسلمَيْنِ إذا التقيا، فضحك كلُّ واحد منهما في وجه صاحبه، ثم أخذ بيده، تحاتَّتْ ذنوبهما كتَحاتِّ ورق الشجر".

وقال عبد الله بن المبارك: "حسن الخلق: طلاقة الوجه، وبذل المعروف وكف الأذى". فالبشاشة مرسال ينم عمَّا في قلب صاحبها وتبشِّر بالخير لرائيها، وهي خير مستقبل للضيفان، فطلاقة الوجه خير للضيف من إكرامه، وكما قيل: البشاشة خير من القِرَى. ولقد حدد بعضهم موانع اكتساب البشاشة فذكر منها: خبث النَّفس، وتغلغل الصِّفات القبيحة فيها من الحسد والغلِّ والحقد والكبر، وعدم اتباع هدي النبي ﷺ، الذي حثَّ على هذه الصفة بخلقه وقوله، وبغض الناس وكراهية الخير لهم. ومن الوسائل المعينة على اكتسابها: استشعار الأجر الذي وُعد به صاحبها، واتباع هدي النبي ﷺ، فعن جرير قال:(ما حجبني النَّبي ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسَّم في وجهي). وقال الأحنف: "رأس المروءة طلاقة الوجه، والتودد إلى الناس"، فلتكن أخي المجاهد بشوش الوجه كما كان رسولنا ﷺ، فإن في ذلك مرضاة لله ولرسوله وسعادة لك ولجليسك والناظر إليك. (1)

من العدد (140) - ذو القعدة 1439 هـ (1)

أخي المجاهد .. تذكر إخوانك في دعائك

لا يصح حال المسلمين وتصلح أحوالهم دون الالتزام بهدي رسول الله ﷺ في كل ما جاء عنه، ومن ذلك العلاقة التي تربط المسلمين ببعضهم فعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)، فالمسلم لا ينبغي عليه أن يترك نصرة أخيه المسلم ولو كان ذلك بالدعاء. فتذكر أخي المجاهد أن لك إخوانا كل منهم على حال يحتاج فيه لنصرتك، فهناك من هو مرابط يقض مضاجع الكافرين ويحمي حمى المسلمين ومنهم من يحضر عدته وعتاده يودع فلذاته وإخوانه سائرا نحو الجنان بقلب مطمئن للقيا الرحمن ومنهم من يمشي طريدا خائفا حيرانا لا يعرف أين يذهب ولا عند من يلجأ يفر من أعين المخابرات والشرط ومنهم من يخطط ويرتب ليقض مضاجع الكفار وينتظر الفرصة ليسلب من الطواغيت أمنهم وراحتهم. كما أن لك إخوانا تغطيهم الدماء فابتلوا بالبتر والكسر ومنهم من فقد حبيبتيه يجأرون الى الله بالدعاء من ألم الجراح. كما أن لك إخواننا يئنون بين يدي مولاهم خلف غياهب تلك السجون قلوبهم منفطرة أرواحهم معلقة بيد مولها سائلينه الفرج القريب يرقبون الفرج كل يوم.

فلا تنس إخوانك من دعائك وتذكر حال رسول الله ﷺ كيف ظل يدعو لبعض المستضعفين في مكة فعن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قنت شهرا إذا قال: سمع الله لمن حمده، يقول في قنوته: (اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم نج سلمة بن هشام، اللهم نج عياش بن أبي ربيعة، اللهم نج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف) ثم ذكر أبو هريرة أنهم نجوا من أيدي الكفار، وقدموا المدينة، فترك الرسول ﷺ الدعاء لهم. وتذكر أخي المجاهد تلك القلوب الصادقة التي قضت في سبيل الله ليُحكَّم شرع الله ولصون النفوس وحفظ الأعراض وقد كانوا غصة في قلوب الكافرين مضوا وقد أزاحوا عن عاتقهم حمل هذه الأمانة الثقيلة ووضعوها على عاتقك فاكمل من خلفهم المسير ولا تنسى من قتلهم بدعائك وجهادك. عن أنس - رضى الله عنه - قال بعث النبي ﷺ أقواما من بنى سليم إلى بنى عامر في سبعين، فلما قدموا، قال لهم خالي أتقدمكم، فإن أمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله ﷺ وإلا كنتم منى قريبا. فتقدم، فأمنوه، فبينما يحدثهم عن النبي ﷺ إذ أومئوا إلى رجل منهم، فطعنه فأنفذه فقال الله أكبر، فزت ورب الكعبة. ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم، إلا رجلا أعرج صعد الجبل، فأخبر جبريل النبي ﷺ أنهم قد لقوا ربهم، فرضى عنهم وأرضاهم، فكنا نقرأ أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا.

ثم نسخ بعد، فدعا عليهم أربعين صباحا، على رعل وذكوان وبنى لحيان وبنى عصية الذين عصوا الله ورسوله أخي المجاهد ها هي الأمانة قد سلمت لك فانظر ما أنت فاعل بها، الأمانة التي أبت السماوات والارض والجبال حملها قال تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}، فما بالك وقد حمّلت لك في هذا الوقت العصيب فاشدد إزارك وجد السير الى الله طالبا منه العون. (1)

من العدد (142) - ذو القعدة 1439 هـ (1)

خاتمة

فهذه إحدى وثلاثون وصية، جمعناها لكم من مقالات متفرقة كانت تنشر في صحيفة النبأ المباركة، تلك الصحيفة التي كانت منبراً صادقاً لتوجيه المجاهدين ونصحهم، وقد قام على كتابتها ثلة من الكُتّاب الناصحين الذين أحسنوا النصح والتوجيه بأسلوب حسن وكلمات مؤثرة، فنسأل الله أن يجزيهم خير الجزاء وأن يبارك في جهودهم.

وقد قامت مؤسسة البيداء للإعلام بجمع هذه السلسلة وترتيبها في هذا الكتاب لتكون سهلة التناول قريبة المنال لكل مجاهد، وحرصنا فيها على التذكير بما يلزم من أخلاق عالية وآداب سامية، من صبر وحلم ورفق وتواضع وإيثار وكرم وحسن ظن بالله وفرار إليه وتوكل عليه ومحاسبة للنفس وبعد عن الغفلة وحفظ لأموال المسلمين وكظم للغيظ وبعد عن الظن السيئ وعلو همة ومشورة وصمت وبشاشة ودعاء للإخوان.

وإن المجاهد إذا تحلى بهذه الأخلاق كان أقرب إلى النصر والتمكين، وكان قدوة لغيره ومفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، وإن هذه الأخلاق لا تأتي إلا بمجاهدة وصبر وتربية وتدريب واستعانة بالله.

فنشكر الله أولاً ثم نشكر إخواننا في صحيفة النبأ على ما قدموه من نصح وتوجيه، ونسأل الله العظيم أن يثبت أقدام المجاهدين وأن يربط على قلوبهم وأن يرزقهم الإخلاص في القول والعمل وأن يتقبل شهداءهم ويشفي جرحاهم ويفك أسراهم وينصرهم على عدوهم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

البيراء